قرآنيكا، مجلة عالمية لبحوث القرآن
عدد خاص (12)، سبتمبر 2024م. ص 486-520

© 2024 مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

الإعجاز العقدي في القرآن الكريم من خلال أسلوبه في تقرير توحيد الربوبية(*)

مضاوي بنت سليمان البسام[1]

(The doctrinal miracle in the Holy Quran through its approach of establishing the oneness of Lordship (Tawheed Alrobobeyah))

Modawee Soliman Albassam

ABSTRACT

This study aims to examine the miraculous aspects of the Quran in affirming the Oneness of Lordship (Tawhid al-Rububiyyah). The research begins with the premise that the Quran is filled with miraculous arguments, proofs, and evidence in its texts related to monotheism. It seeks to offer a deeper understanding of the intricate relationship between Quranic miracles and the affirmation of Lordship, and the resulting knowledge that brings tranquility to the hearts and conviction to the minds. The research is based on the analysis of Quranic texts, extracting the miraculous elements in their meanings, implications, contexts, and ultimate purpose in affirming the Oneness of Lordship. It also explores the role these texts play in shaping the doctrine of monotheism for Muslims. The study concludes that the Quran employs a variety of miraculous methods—linguistic, innate (fitrah), argumentative, and emotional—to instill certainty in the majesty and Oneness of God within the Muslim's belief system, thereby fortifying it against atheistic intellectual doubts.

Keywords: *Miracles, Monotheism, Methods, Doctrine, Impact*

(*) This article was submitted on: 04/09/2024 and accepted for publication on: 16/09/2024.

[1] أستاذ العقيدة المشارك جامعة الملك سعود قسم الدراسات الإسلامية

Email: mbassam@ksu.edu.sa

ملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة إعجاز القرآن في تقرير توحيد الربوبية. ينطلق البحث من فكرة أن القرآن مملوء بالحجج والأدلة والبراهين المعجزة في نصوص التوحيد ، يسعى البحث إلى تقديم فهم أعمق للعلاقة الوثيقة بين الإعجاز القرآني وتوحيد الربوبية وماينتج عنها من معرفة تطمئن بها القلوب، وتؤمن بها العقول. يرتكز البحث على تحليل نصوص قرآنية واستنباط الإعجاز في معانيها ودلالتها وسياقها وغايتها في تقرير توحيد الربوبية، ودورها في بناء عقيدة التوحيد لدى المسلم. وقد خلص البحث إلى أن القرآن الكريم استخدم أساليب إعجازية متعددة، لغوية وفطرية وحجاجية ووجدانية، لترسيخ اليقين بجلال الله ووحدانيته في عقيدة المسلم، مما جعله محصنًا ضد الشكوك الفكرية الإلحادية.

كلمات دالة: الإعجاز، التوحيد، الأساليب، العقيدة، الأثر.

1. مقدمة:

التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك، وأول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)[2]، فهو أول واجب وآخر واجب[3].

ولذا جاء القرآن كتاب توحيد من أوله إلى آخره، وفي هذا المعنى يقول الإمام ابن القيم (751هـ) -رحمه الله تعالى -: «إن كل آية في القرآن فهي متضمنة

---

2 Abū Dawūd, Sulaimān Al-Ash'ath. (1972). *Sunan Abī Dawūd.* (Vol. 1). Beirūt: Al-Maktabah Al-'Iṣriyah, p. 486.

3 Ibn Abī al-'Iz, Muḥammad bin 'Alī. (1971). *Sharḥ al-'Aqīdah al-Ṭaḥāwiyyah.* (4th ed, vol. 1). Beirūt: Al-Maktab al-Islāmī, p. 21.

للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه؛ فإن القرآن إما خبرٌ عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يُعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر أو نهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعَل بهم في الدنيا من النّكال، وما يحلُّ بهم في العقبى من العذاب، فهو خبرٌ عمن خرج عن حكم التوحيد؛ فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم»[4].

ولما كان التوحيد بهذا الشأن، فقد ظهر إعجاز القرآن الكريم في تقريره أعظم وأجل تقرير، بل إن كل آية – على التحقيق – تدخل في هذا الإعجاز الجليل، وإعجاز القرآن من حيث هو لفظ من علوم العقيدة، لأن أعظم برهان أتى فيه التحدي، وهذا التحدي وحصول العجز في الإتيان بمثله، وكونه دليلا من دلائل النبوة أخرج اسم إعجاز القرآن، وهذا يبين أن مبحث إعجاز القرآن أصله عقدي، ولذلك لا نجد أحداً من السلف تكلم حول إعجاز القرآن من حيث إنه علم متصل بعلوم القرآن، وإنما بحثه من تكلم في إثبات التوحيد والنبوة والغيبيات، وهي مسائل عقدية بحتة.

ومما يزيد أهمية البحث:

1 – الحاجة الماسة إلى من يبحث في الأدلة القرآنية وإبراز إعجازها من حيث معانيها وطرقها في الاستدلال على توحيد الربوبية.

2 – تفشي الإلحاد في العالم؛ مما يستوجب على المسلمين مواجهته بما تفضل الله به عليهم من معجزة القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي

---

4 Ibn Qayyim, Muḥammad bin Abī Bakr. (1985). *Madārij al-Sālikīn baina Manāzil Iyyāka Na'budu wa Iyyāka Nasta'īn.* (Vol. 3). Beirūt; Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, p. 450.

يتضمن تقرير توحيد الربوبية، بطريقة معجزة متنوعة تعصم العقول من تخطُّف شبهات الملاحدة، وتحفظ الأمة من الضلال.

3 – اعتماد بعض المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي على المناهج الفلسفية على الرغم من غموضها وتعقديها في تقرير التوحيد، والأصل هو ربط الناس بالقرآن وكشف كنوزه وثراثه.

إشكالية البحث:

تتمحور إشكالية البحث حول ماهية أساليب إعجاز القرآن الكريم في ترسيخ مفهوم توحيد الربوبية في عقيدة المسلم. فالقرآن هو المصدر الأول للعقيدة الإسلامية، وطرق استدلالته وتقريره لمفهوم التوحيد تتسم بالإعجاز المتنوع، مما يثير التساؤلات حول ماهية هذه الأساليب ودورها في بناء العقيدة الإسلامية بشكل عام، وترسيخ ربوبية الله في قلب المسلم بشكل خاص.

أهداف البحث:

1 – بناء صلة وثيقة بين عقيدة المسلم وكتاب الله عز وجل.

2 – ربط توحيد الربوبية وهو أول واجب على المكلف بالإعجاز القرآني، مما يزيد اليقين في قلب المسلم.

3 – إقامة صرح العلوم الإسلامية ولا سيما علم التوحيد على دعائم الأسلوب القرآني المعجز.

4- إبراز أثر إعجاز القرآن بأساليبه المتنوعة في تقرير توحيد الربوبية على عقيدة المسلم.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي والاستنباطي والتحليلي. حيث يستند المنهج الاستقرائي إلى استقراء الآيات القرآنية المتعلقة بتقرير توحيد الربوبية واستكشاف أساليبها المتنوعة. ثم يتم استخدام المنهج الاستنباطي لاستخلاص كيفية

تأثير هذه الأساليب على عقيدة المسلم. وأخيرًا، يتم توظيف المنهج التحليلي لتحليل هذه الأساليب والكشف عن أوجه الإعجاز فيها، وكيفية توجيهها للفكر والعاطفة البشرية لتعزيز مفهوم التوحيد.

الدراسات السابقة:

بعد البحث في مراكز البحث العلمي، لم أجد – بحسب ما اطلعت عليه – من تناول عنوان هذا البحث، سوى دراسة واحدة بعنوان: «الإعجاز العقدي في القراءات القرآنية» لأحمد السديس، ومع تميز هذا البحث، إلا أن مضمونه الوقوف على إعجاز القرآن من خلال تنوع وجوه قراءاته في تقرير عقيدة السلف، وليس له علاقة ببيان أثر إعجاز القرآن من خلال أسلوبه في تقرير توحيد الربوبية على عقيدة المسلم.

التمهيد:

أولاً: الإعجاز لغة واصطلاحاً:

الإعجاز لغة:

عجز الشيء يعجز عجزاً فهو عاجز؛ أي: ضعيف.

ويقال: أعجزني فلان، إذا عجزت عن طلبه وإدراكه[5]، فمعنى الإعجاز: الفوت والسبق[6].

ومن هنا يتبين أن المعجز عائد إلى أصلين هما: الضعف، والفوت، والسبق، فمن فاته شيء فهو بسبب ضعفه وقصوره عن اللحاق به.

الإعجاز في الاصطلاح:

---

5 Ibn Fāris, Aḥmad. (1881). *Muʿjam Maqāyīs al-Lughah*, Beirūt: Dār al-Fikr, p. 232.

6 Ibn Manẓūr, Jamāl al-Dīn Muḥammad bin Mukrim. (n.d.). *Lisān al-ʿArab.* (Vol. 5). Beirūt: Dār Ṣādir, p. 370.

قال الجرجاني (ت 471هـ): الإعجاز في الكلام أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق[7].

وإعجاز القرآن: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به[8].

والمراد هنا: إظهار صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة وهي القرآن، وعجز الأجيال بعدهم[9].

فأعظم برهان آتاه الله نبيه صلى الله عليه وسلم يدل على صدق أنه رسول من عند الله هو القرآن، فالقرآن هو الآية والبرهان، وقع فيه التحدي، وحصل العجز، وهذا التحدي وحصول العجز دليل من دلائل النبوة، ظهر به اسم إعجاز القرآن، وبهذا يتبين أن مبحث إعجاز القرآن أصله عقدي، فهو من علوم العقيدة في دلائل النبوة.

ثانياً: الأسلوب في اللغة والاصطلاح:

الأسلوب لغة: السطر من النخيل وكل طريق ممتد.

والأسلوب: الطريق والوجه، والمذهب، يقال: أنتم في أسلوب سوء، والأسلوب الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب القول في أي أفانين من القول[10].

أما في الاصطلاح فهو: الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه، واختيار ألفاظه ومفرداته، أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه، أو هو طابع الكلام أو فنّه الذي انفرد به المتكلم[11].

---

7 Al-Jurjānī, ʻAlī bin Muḥammad. (1982). *Al-Ta'rīfāt*. Beirūt: Dār al-Kutub, p. 31

8 Al-Zarqāfī, Muḥammad ʻAbd al-ʻAzīm. (1997). *Manāhil al-ʻIrfān*. (Vol. 2). Al-Qāherah: Dār Al-Ḥadīth, p. 227.

9 Al-Bighā, Muṣṭafā Dīb. (1998). *Al-Wāḍiḥ fī ʻUlūm al-Qur'ān*. Dimashq: Dār al-ʻUlūm al-Insāniyyah, p. 107.

10 Ibn Manẓūr, *Lisān al-ʻArab*. (Vol. 1), p. 471.

11 Al-Zarqāfī, *Manāhil al-ʻIrfān*. (Vol. 2). p. 277

وأسلوب القرآن الكريم: الطريقة والصياغة لجميع مفرداته، وألفاظه وتراكيبه، وجمال نظامه ومعانيه ودلالاته[12].

ثالثاً: توحيد الربوبية لغة واصطلاحاً:

التوحيد في اللغة: مأخوذ من الوحدة والانفراد، يقال: ثنَّاه وثلَّثه، ورجل واحد ووحد، أي منفرد، وتوحد برأيه، تفرَّد به، وفلان واحد دهره، أي: لا نظير له[13].

وبناء على هذا فالتوحيد مأخوذ من الوحدة والانفراد.

وأما الربوبية في الاصطلاح: فهي مشتقة من اسم الرب، والرب هو: المالك والسيد، والمدير، والمربي، والقيِّم، والمنعم، والخالق، والصاحب، وكل هذه المعاني راجعة إلى إصلاح الشيء والقيام عليه[14].

وأطلق على هذا النوع اسم الربوبية؛ لأن اسم الرب يقتضي معاني كثيرة وهي الملك، والحفظ، والتدبير، والتربية، وهي تبليغ الشيء بالتدريج.[15]

وتوحيد الربوبية اصطلاحاً: هو إفراد الله بأفعاله، من الخلق، والملك، والتدبير، والتصرف في جميع مخلوقاته[16].

2. إعجاز القرآن من خلال أسلوبه اللغوي في تقرير توحيد الربوبية وأثره على عقيدة المسلم.

مَن تدبر القرآن وجد فيه من وجوه الإعجاز فنوناً ظاهرة وخفيَّة، من حيث اللفظ ومن جهة المعنى، قال تعالى: (أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) [هود: 1]، فأحكمت ألفاظه، وفصلت معانيه، فكل من لفظه ومعناه فصيح لا

12 Ibid, (Vol. 2). p. 253.

13 Ibn Manẓūr, *Lisān al-'Arab*. (Vol. 3), p. 446.

14 Ibn Manẓūr, *Lisān al-'Arab*. (Vol. 1), p. 399.

15 Ibn Abī al-'Iz. *Sharḥ al-'Aqīdah al-Ṭaḥāwiyyah*. (4th ed), p. 142.

16 Ibn 'Uthaimīn, Muḥammad bin Ṣālih. (2003). *Al-Qawl Al-Mufīd 'Alā Kitāb Al-Tawḥīd*. (2nd ed, vol. 1). Al-Sa'ūdiyyah: Dār Ibn Al-Jawzī, p. 12.

يحاذى ولا يدانى[17]، قال الخطابي (ت 388هـ) في كتابه بيان إعجاز القرآن: «إن وجه الإعجاز فيه من جهة البلاغة، لكن لما صعب عليهم تفصيلها صغوا فيه إلى حكم الذوق والقبول عند النفس.. وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله لأمور، منها: أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وأوضاعها التي هي ظروف المعاني والحوامل، ولا تدرك أفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ.. وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة، لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه، وأما معانيه فكل ذي لبّ يشهد له بالتقديم في أبوابه والرقي في أعلى درجاته.. فخرج من هذا أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، مضمناً أصح المعاني، من توحيد الله تعالى وتنزيهه في صفاته، ودعاء إلى طاعته، وبيان لطريق عبادته في تحليل وتحريم وحظر وإباحة ومن وعظ وتقويم، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق وزجر عن مساويها، واضعاً كل شيء منها موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه، ولا يتوهم في صورة العقل أمر أليق به منه»[18].

ومن صور إعجازه في باب توحيد الربوبية على سبيل التمثيل لا الحصر، ما انفردت به سورة الإخلاص بجمعها أصول التوحيد مع الإيجاز، وهذه السورة رغم قصرها فقد شملت مجاميع التوحيد العلمي الاعتقادي الذي يباين صاحبه جميع فرق الضلال والشرك، الوحدانية ونفي التعدد في الآية الأولى، وإثبات الكمال ونفي النقص والعجز في الآية الثانية وإثبات أزليته سبحانه وبقائه ونفي الذرية في الآية الثالثة

---

17 Ibn Kathūr, Ismāʾīl Bin ʿUmar. (2009). *Tafsīr Al-Qurʾan Al-ʿAẓīm*. (Vol. 4). Al-Riyāḍ: Dār Ibn Al-Jūzī, p. 431.

18 Al-Khaṭābī, Abū Sulaymān Ḥamad bin Muḥammad. (1973). *Wujūh I'jāz Al-Qurān fī Thalāth Rasāil fī I'jāz Al-Qurān* (Muḥammad Khalaf Allah, Muḥammad Zaghlūl Salām, Vol. 2) Al-Qāherah Dār Al-Maʾārif, p. 103.

وإثبات العظمة والجلال ونفي الأنداد والأضداد في الآية الرابعة[19].

ومن وجوه إعجاز السورة أنها تعدل ثلث القرآن، فسورة الإخلاص مفرداتها (أحد، صمد، كفواً، يلد، يولد) يمثل ثلث عدد مفردات السورة، فكأنه بهذا يُحاكي كون السورة «معادلة لثلث القرآن» باعتبار أن القرآن قسمان: خبر، وإنشاء، والخبر قسمان: خبر عن الخالق وخبر عن المخلوق، فهذه ثلاثة أثلاث، وسورة الإخلاص أخلصت الخبر عن الخالق فهي بهذا الاعتبار ثلث[20].

ومن صور الإعجاز في تقرير التوحيد بأسلوب لغوي ليس له مثيل، ورود وصف «الأحد» في الآية دون «الواحد»، وذلك لأن لفظة «أحد» لا يبنى عليه العدد ابتداء، فلا يقال في العدد أحد، كذلك لا يكون لفظ «أحد» وصفاً للإنسان، فلا يقال: رجل أحد، كما يقال رجل واحد، ولهذا اختص هذا الوصف به سبحانه[21].

ولفظ «الأحد» أكمل وأعم من «الواحد» فلو قلنا: فلان لا يقوم له واحد، فإن ذلك لا ينفي أن يقوم له اثنان أو ثلاثة فما فوقهما، بخلاف قولنا لا يقوم له أحد، فقد نفينا من خلال هذه الصفة وجزمنا الجزم القاطع أنه لا يقوم له أحد، ومن هنا كان هذا الوصف أبلغ وأكمل في الدلالة على النفي في توحيد الربوبية[22].

وإنما وصف سبحانه بـ (أحد) ولم يوصف بـ(واحد)؛ لأن الصفة المشبهة نهاية ما يمكن به تقريب معنى وحدانية الله تعالى إلى عقول أهل اللسان العربي المبين[23]، فضلاً عن أنها "لم تأت وصفاً لاسم الله تعالى إلا في هذه الآية، أما آيات القرآن الأخرى

---

19 Fakhr al-Rāzī, Muḥammad bin ʻUmar. (n.d.). *Mafātīḥ al-Ghayb.* (2nd ed, vol. 32). Beirūt: Dār al-Kutub al-ʻIlmiyyah, p. 357-358.

20 Al-Biqāʼī, Ibrāhīm Bin ʻUmar. (n.d.). *Niẓam Al-Durar Fī Tanāsub Al-Āyāt wa Al-Suwar.* (Vol. 22). Dār Al-Kitāb Al-Islāmī, p. 362.

21 Abū Ḥayyān Al-ʼAndalusī. (1992). *Al-Baḥr Al-Muḥīṭ.* (Vol. 8). Dār Al-Kutub Al-ʻIlmiyyah, p.529.

22 Al-Biqāʼī. *Niẓam Al-Durar Fī Tanāsub Al-Āyāt wa Al-Suwar.* (Vol. 22), p. 262.

23 Ibn ʻĀshūr, Muḥammad al-Ṭāhir. (n.d.). *Al-Taḥrīr wa al-Tanwīr.* (Vol. 30). Tūnis: al-Dār al-Tūnisiyyah li Nashr, p.614.

كلها، فقد وردت بالمعنى اللغوي وهو واحد من الخلق[24]، واللطيف أنه سبحانه لم يوصف إلا في هذه الآية فقط بأنه (أحد) وحين وصف بأنه واحد لم يقترن بلفظ الجلالة (الله) بل بلفظ الإله (إله واحد) أو مقترناً بلفظ القهار (الواحد القهار) **[25]**.

وفي مفردة (الصمد) وردت بالصفة المشبهة لا باسم المفعول حيث لم يقل: «المصمود إليه» لأن الصمد على صيغة فعل أثبت وأدوم من مفعول، فيسبق إلى الذهن معنى الثبوت فيها والدوام، وهو أمر متحقق فيه جل وعلا[26]، فهو الرب الواحد، ثم إن المصمود إليه قد يكون لمن صمد إليه مرة واحدة بينما الصمد صفة مطلقة[27]، ولا يكون هذا إلا لرب العالمين.

وأدخل اللام في (الصمد)، ولم يدخل في (أحد)، «لأنه ليس في الموجودات ما يسمى أحداً في الإثبات مفرداً غير مضاف، ولم يوصف به شيء من الأعيان إلا الله وحده، وإنما يستعمل في غير الله في النفي وفي الإضافة وفي العدد المطلق، أما اسم الصمد فقد استعمله أهل اللغة في حق المخلوقين»[28]

ولما كانت صمديته تعالى معلومة لديهم معترفين بها، ناسب ذلك ذكر الصفة بأل التعريف، بينما الأحدية مجهولة مستنكرة عند أكثر الخلق، والصمدية معلومة الثبوت عند جمهور الخلق، وهذا للدلالة على أحديته، إذ من قصر عليه الصمود إليه، وجب أن يكون هو وحده حقيق بالعبادة سبحانه[29].

---

24 Al-'Āṣimī Al-Gharnāti, Ibrāhim Bin Al-Zubayr Al-Thaqafi. (1983). *Malāk Al-Al-Ta'wīl Al-Qāṭi' Bidhawī Al-Ilhād Wa Al-Ta'ṭīl Fī Tawjīh Al-Mutashābih Bi Lafẓ Min Ay Al-Tanzīl*. Dār Algharb Al-Islāmī, p.157.

25 'Abd Al-Raḥman, 'Āishah. (1969). *Al-Tafsīr Al-Bayān Lil Qurān Al-Karīm.* (2nd Ed, Vol. 1). Dār Al-Ma'ārif, p. 46.

26 Niḥlah, Maḥmūd Aḥmad. (1981). *Lughah al-Qurān al-Karīm.* Dār Al-Nahḍah al-'Arabiyyah, p. 434.

27 Fakhr al-Rāzī. *Mafātīḥ al-Ghayb.* (Vol. 32), p. 263.

28 Al-Qāsimī, Muḥammad Jamāl al-Dīn. (1914). *Maḥāsin al-Ta'wīl.* (Vol. 9). Dār al-Ḥadīth. p. 50

29 Fakhr al-Rāzī, *Mafātīḥ al-Ghayb*, p. 363.

وذكر أنه صمد، ولم يقيد مصمود إليه في أي الحوائج بالتحديد. لإطلاق المعنى، فالمعنى مطلق من جهة العباد فكلٌّ إليه يصمد، ومطلق من جهة الله تعالى فيصمد إليه سبحانه في جميع الحوائج مهما تعاظمت[30]. وفي هذا تقرير لربوبيته في أفعاله من التدبير والأمر.

ولم يجمع بين الوصفين في آية واحدة، فلم يقل: (قل هو الله أحد الصمد) بل أفرد كلاً منهما بآية مستقلة عن الأخرى؛ ليفرق بين ما هو معلوم للمخاطبين آنذاك وهي صمديته تعالى وما هو مجهول لهم وهي أحديته سبحانه[31]. وهو الأمر الذي يتقرر به التوحيد.

أما الإعجاز في قوله تعالى: (ولم يولد)، فللدلالة على أنه سبحانه لا يفتقر إلى شيء ولا يسبقه عدم، ولأن عقيدة التولد ادعت وقوع ذلك في زمن مضى، ولم يدَّع أحد أن الله سيتخذ ولداً في المستقبل[32]. وهذا أعظم تقرير لوحدانيته سبحانه

وكذلك لم يقل (لم يولد ولم يلد) مع أن في الشاهد يكون أولاً مولوداً، ثم يكون والداً وذلك إنما وقعت البداءة بأنه لم يلد؛ لأنهم ادعوا أن له ولداً، وذلك لأن مشركي العرب قالوا: الملائكة بنات الله، وقالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله ولم يدَّع أحد أن له والداً، فلهذا السبب بدأ بالأهم فقال: لم يلد ثم أشار إلى الحجة فقال: ولم يولد، كأنه قيل: الدليل على امتناع الولدية اتفاقنا على أنه ما كان ولداً لغيره[33].

ونفي الوالدة أكمل وأبلغ وهي لم ترد بهذا الأسلوب المباشر إلا في سورة الإخلاص التي جمعت نفي كل نقص، إزاء إثبات كل كمال، ذلك أن نفي الوالدة يقتضي نفي أربعة أمور:

30 Ā'isyah 'Abd al-Raḥman. (N.d.). *'Alā Ṭarīq al-Tafsīr al-Bayānī*. N.p., p. 65.
31 Ā'isyah 'Abd al-Raḥman. *'Alā Ṭarīq al-Tafsīr al-Bayānī*, p. 67.
32 Ibn 'Āshūr, *Al-Taḥrīr wa al-Tanwīr*. p.618.
33 Fakhr al-Rāzī, *Mafātīḥ al-Ghayb*, p. 263.

(المصاحبة فالمجانسة، ثم الولد والمشابهة)، وأما اتخاذ الولد فيقتضي نفي أمر واحد وهو الحاجة إلى المعين فإن من لم يصدر عنه الولد، فإنه قد يتجه لاتخاذ ولد ليربيه ويعينه، واتخاذ الولد لا يكون إلا عند الحاجة، والله سبحانه واحد أحد غني سبحانه، لا ولد له اتخذه ولم يصدر عنه الولد. وأيضاً فإن في سورة الإخلاص إثبات صفة الصمدية، وهي تنفي الولد، واتخاذ الولد إذ لا حاجة له إلى أحد سبحانه[34].

ولما اختصت السورة بتفرده سبحانه ونفي الولد والوالد والصاحبة ناسب أن تختم السورة بأنه لا يوجد شيء من الموجودات مساوياً له في أي شيء، فكان تأكيداً لما ورد في كل السورة، وليكون نفي المماثلة والمكافأة عن الله تعالى أسبق للسمع بعد النفي مباشرة لم يقل: (ولم يكن أحد كفواً له) (أو) (ولم يكن أحد له كفواً)، بل قال: (ولم يكن له كفواً أحدا)[35].

أما إذا وقفنا عند الإعجاز بأسلوبه اللغوي الصوتي لسورة الإخلاص، فيما يتعلق بتقرير توحيد الربوبية. فإننا نلحظ ابتداء أن (واو) الضمير (هو) مفتوحة، فاستوجب أن تكون لام لفظ الجلالة مفخمة بعدها، أما لام (قل) فساكنة، ولو حذف الضمير لكسرت اللام لالتقاء الساكنين، ولو كسرت اللام لرققت (لام) لفظ الجلالة فيقال (قل الله) بالترقيق، وهذا حتماً لا يتناسب وأغراض السورة من التعظيم والتفخيم لموضوع الوحدانية ونفي التعدد وإثبات الكمال وإثبات العظمة والجلال[36].

واحتواء السورة على أحد عشر صوتاً مهموساً فقط، واستحواذ الأصوات المجهورة على أكثر من ضعف عدد المهموسة، يتناسب ومسألة الجهر بالتوحيد التي «تقتضي المجاهرة، وعلو النبرة»، لذلك ابتدأت بـ (قل) أي قُل ذلك واجهر به.

وهذه الأحرف مخرجها من أقصى مخارج الصوت، قريباً من القلب الذي هو

---

34 Fakhr al-Rāzī, *Mafātīḥ al-Ghayb,* p. 364.

35 Ibn ʻĀshūr, *Al-Taḥrīr wa al-Tanwīr,* p. 326.

36 Falayh, Aḥmad. (2005). Al-I'jāz al-Ṣawtī fī Qiṣār al-Suwar. *Majallah Jāmi'ah Tikriyyah li al-'Ulūm al-Insāniyyah, 12.*(5)

محل المعرفة إليه سبحانه، وفي هذا إيحاء أن التوحيد ينبع من القلب ويظهر على اللسان والجوارح[37].

وفي مجيء النفي بـ (لم) المتكرر ثلاث مرات ذي المقطع الصوتي المغلق المنتهي بصامت (ص ح ص) دون (لا) المنتهي بصائت (ص ح ح)، إيقاعاً أقوى يفيد القطع والجزم، أن الولادة وجود زائد بعد نقص أو عدم، وهو على الله محال، وأن الزوجية تقوم على التماثل وهذه كذلك محال[38].

وتنتهي جميع آيات السورة بصوت الدال الذي دلَّ على الشدة والقوة، فهو صوت شديد انفجاري، ولما كانت السورة إثباتاً وتقريراً لعقيدة التوحيد ونفي الشرك عن الذات الإلهية جاءت بهذا الشكل الصوتي الذي أحدثه صوت الدال لينسجم الإيقاع الصوتي الشديد في هذه السورة مع تقرير التوحيد وضرورة رسوخه في النفوس.

وهذا الوجه من الإعجاز في هذه السورة القصيرة – والتي كانت على سبيل الدلالة لا الحصر – برهاناً دامغاً ومعجزاً لتقرير التوحيد وإبطال الشرك، ذلك أن هذه اللغة القرآنية السّاحرة الخارجة عن طوق البشر والتي أذهلت الناس عن أنفسهم، واقشعرّت لها أبدانُهم، فخرّوا لها موحدين، تجعل القارئ للقرآن يدرك أنه من لدن حكيم خبير مستحق للتوحيد والعبادة، فيسلمُ له وجهه، فهو الأحد الذي لاشريك ولاند له، منفرد في ملكه، لا يحتاج إلى أحد، بينما الجميع يصمدون إليه. وهو سبحانه لا يفتقر إلى شيء ولا يسبقه عدم، وبهذا يظهر أن اللغة القرآنية تأسر قلب قارئه فيقر بحاجته إلى ربه وحده لاشريك له، ويدرك أن ذلك التوحيد أعظم من حاجة الجسد إلى الروح، والعين إلى نورها، بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به، ولاسبيل لطمأنينة الدنيا

---

37 Ibn Al-Qayyim, Muḥammad bin Abi Bakr. (1973). *Al-Fawāid.* (Vol. 1). Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, p. 316.

38 Falayh, Al-I'jāz al-Ṣawtī fī Qiṣār al-Suwar. *Majallah Jāmi'ah Tikriyyah li al-'Ulūm al-Insāniyyah, 12.*(5)

إلا بالإقرار بربوبيته وألوهيته[39].

[39] Ibn Al-Qayyim, Muḥammad Bin Abī Bakr. (2019). *Ṭarīq Al-Hijratayn Wa Bāb Al-Sa'ādatayn* (4th Ed., Vol. 1). Dār Ibn Ḥazm, p. 120.

3. إعجاز القرآن من خلال أسلوبه الفطري في تقرير توحيد الربوبية وأثره على عقيدة المسلم

إن وجود الخالق هو أعظم الحقائق، ومعرفته أبين العلوم، ولذا كان في الفطرة ما يقتضي الإيمان به، والقرآن المعجز يقرر بأبدع بيان، وأقوى برهان هذه المسألة العقدية بأسلوب معجز ومتنوع لا ينازع فيه إلا مكابر، وهو الأسلوب الفطري.

والمقصود بالفطرة هو: الإسلام، وهو المنقول عن سلف الأمة، قال تعالى: (فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) [الروم: 3]، قالوا: دين الله الإسلام[40].

قال ابن حجر: الآثار المنقولة عن السلف تدل على أنهم لم يفهموا من لفظ الفطرة إلا الإسلام والتوحيد[41].

وليس مراد السلف بفطرة الإسلام أن المولود حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده، فإن الله تعالى يقول: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا) [النحل: 78]، ولكن فطرته مقتضية موجبة لدين الإسلام، لمعرفته ومحبته، فنفس فطرة المولود تستلزم الإقرار بالخالق ومحبته وإخلاص الدين له، وموجبات الفطرة ومقتضياته تحصل شيئاً بعد شيء بحسب كمال الفطرة إذا سلمت من المعارض[42].

وقد جاء في القرآن الكريم من دلالات الفطرة على توحيد الربوبية ومعرفته سبحانه ما لا يحصى من الإعجاز؛ لأنها من الضروريات التي يُحجب الناس عنها لغفلتهم وضيق تصورهم، ومن تلك الدلالات الإعجازية:

قوله تعالى: (وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا

---

40 Ibn ʻAbd Al-Bar, Yūsuf Bin ʻAbdullah. (1967). *Al-Tamhīd Limā Fī Al-Muaṭṭa' Min Al-Ma'ānī Wa Al-Asānīd* (Vol. 18). Wizārat Al-Awqāf Al-Maghribiyyah, P. 72.

41 Ibn Ḥajar, Aḥmad bin ʻAlī. (1970). *Fatḥ Al-Bāri Bi Sharḥ Ṣaḥīḥ Al-Bukhāri.* (Vol. 8). Maktabah al-Salafiyyah, p. 250.

42 Ibn Taymiyyah, Aḥmad bin ʻAbd al-ḥalīm. (1983). *Maṭbū'āt Jāmi'ah al-Imām Muḥammad bin Sa'ūd.* (Vol. 8). N.p., p. 383.

عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [يونس: 12].

وقوله تعالى: (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا) [الإسراء: 67].

فهذه الآيات وأمثالها تقرر أن في العبد شعوراً بوجود الله تعالى بدلالة لجوء هذا العبد إلى الله في حال الكرب والشدة مسلماً كان أو كافراً، فإذا كان شعوره بحاجته إلى ربه أمراً ضرورياً واقعاً لا محالة ولا يمكن دفعه، فالإقرار به سبحانه أولى أن يكون ضرورياً، وهذا من أعظم الدلالات العقدية على وجود المعرفة الفطرية واستقرارها في النفس.

ثانياً: قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [النبياء: 25]، ولو لم يكن الإقرار بالله تعالى وبربوبيته فطرياً لساغ لمعارضي الرسل عند دعوتهم لهم بقول الله تعالى: (فاعبدون) أن يقولوا نحن لم نعرفه أصلاً، فكيف يأمرنا، ولما لم يحدث ذلك منهم دلَّ على أن معرفتهم بالله تعالى مستقرة في فطرهم[43].

ومن إعجاز القرآن في مخاطبة الفطرة، أن الله – عز وجل – في خطابه لموسى قال: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ) [طه: 44]، فالإنسان إذا ذُكِّر ذكَر ما في فطرته من معرفة الله وإحسانه، ولو لم يكن الإقرار بالله وربوبيته أمراً فطرياً لدعاه موسى أولاً إلى توحيد الربوبية، وإنما اكتفى بتذكيره به.

وقوله تعالى: (أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) [النمل: 64]، فهذه االاستفهامات الإنكارية كلها تقرير لأمر مستقر في فطرة الناس، ولو لم يكونوا مقرين بربوبيته لما

---

43 Ibn Taymiyyah. (n.p). *Dar'u Ta'āruḍ Al-A'ql Wa Al-Naql.* (Vol. 3), N.p., p. 129.

قررهم في هذه الآيات، ولذلك قال سبحانه وتعالى في موضع آخر من كتابه العزيز: (أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [إبراهيم: 10]، أفي وجوده شك؟ والمعنى ما في الله شك، فدل ذلك على أنه ليس في الله شك عند المخاطبين، وهذا يبين أنهم مفطورون على الإقرار، وإلا فالأمر النظري مستلزم للشك قبل العلم، لاسيما إذا كان طرقه خفية طويلة[44].

و قوله تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [الروم: 30].

و قوله تعالى: (لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ). والمعنى على أحد القولين: لا يقدر أحد على تغيير خلق الله[45].

فلا يقدر أحد على تبديل سنة الله تعالى في خلق الناس جميعاً على الفطرة، وأنه ما من مولود إلا ويولد عليها، لا مبدل ولا مغير لهذه الفطرة من أصلها، وإن كان قد يطرأ عليها بعد ذلك ما يفسدها ويغيرها، فهذا حق لا شك فيه، وقد يكون المراد بالتغيير المثبت في الحديث: الحيلولة دون أداء الفطرة لوظيفتها، وإظهارها لمقتضاها، لا أنها تنعدم فلا يبقى لها أثر بالكلية، فإن ذلك لو حصل لما ظهر مقتضى الفطرة وقت الشدائد، ولما بقي فيها حجة على من أُفسدت فطرته صغيراً[46]، وفي هذا تقرير يبين الإعجاز القرآني في التحدي دون إثبات توحيد الربوبية في النفوس.

و قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ) [الأعراف: 172]، ووجه الإعجاز في هذه الآية أن الله تعالى أخرج الذرية من أصلاب آبائهم وذلك الإخراج بأنهم كانوا نطفة، فأخرجها الله تعالى في أرحام الأمهات، وجعلها علقة، ثم مضغة ثم جعلها بشراً سوياً، وخلقاً كاملاً، ثم أشهدهم

---

44 Ibn Taymiyyah. *Dar'u Ta'āruḍ Al-A'ql Wa Al-Naql.* (Vol. 8), P. 441.

45 Ibn Kathtīr. *Tafsīr Al-Qur'an Al-'Aẓīm.* (Vol. 13), P. 478.

46 Al-'Arīfī, Sa'ūd Bin 'Abd Al-'Azīz. (2014). *Al-Adillah Al-'Aqliyyah Al-Naqliyyah 'Al'ā 'Uṣūl Al-I'tiqād.* Markaz Takwīn Lildirāsāt Waliabhāth, P. 137.

على أنفسهم بما ركب فيهم من دلائل وحدانيته، وعجائب خلقه، وغرائب صنعه، فبالإشهاد صاروا كأنهم قالوا: بلى، وإن لم يكن هناك قول باللسان، ولذلك نظائر منها:

- قوله تعالى: (فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) [فصلت: 11].

وهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهور في كلام العرب، فحين شهدت بهذه الأدلة عقولهم وبصائرهم صاروا بمنزلة من قيل لهم : ألست بربكم؟ قالوا: بلى. وهذه الشهادة منهم بالحال لا بالمقال. قال تعالى: (مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ) [التوبة: 17]، وعلى هذا القول يكون معنى الآية الكريمة: وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم، ويشهدهم على أنفسهم بما ركب فيهم من العقل الذي يكون به الفهم والتكليف الذي به يترتب على صاحبه الثواب والعقاب يوم القيامة[47].

بهذا يظهر الإعجاز بكون التوحيد بمعرفة الله من العلوم الضرورية الفطرية والتي لا تحتاج إلى تعلم، ووقوع الشرك إنما يقع بإرادة العبد واختياره، والأسلوب الفطري الذي استخدمه القرآن في تقرير توحيد الربوبية يؤثر بشكل عميق على عقيدة المسلم، فالقرآن يخاطب الإنسان بأسلوب يتناغم مع طبيعته البشرية، منبهاً إياه إلى أن الإيمان بوجود الله ووحدانيته مغروس في فطرة كل إنسان. هذا الإقرار الفطري يجعل المسلم يدرك أن التوحيد ليس فكرة مكتسبة، بل هو جزء أساسي من تكوينه النفسي والعقلي.

والآيات القرآنية التي تشير إلى لجوء الإنسان إلى الله في أوقات الشدة، سواء كان مسلمًا أو كافرًا، تُظهر أن هناك شعورًا داخليًا بوجود قوة عظمى يستند إليها الإنسان في لحظات العجز. هذا الشعور الفطري هو ما يعزز إيمان المسلم بأن الله هو

47 Fakhr al-Rāzī. *Mafātīḥ al-Ghayb.* (Vol. 15), p. 50.

الرب المستحق للعبادة وحده لاشريك له، والذي لا يحتاج إلى دليل خارجي لإثبات وجوده.

كما أن الحوار القرآني مع الفطرة، مثل الآيات التي تُقرر أن المعرفة بالله مستقرة في نفس الإنسان، يجعل المسلم يؤمن بأن التوحيد أمر بديهي لا يحتاج إلى نقاش أو جدل.فيذعن المسلم لربه مستسلماً لأمره ونهيه، فهو سبحانه من فطره على الدين القيم.

4. إعجاز في القرآن من خلال أسلوبه الحجاجي المنطقي في تقرير توحيد الربوبية وأثره على عقيدة المسلم

لقد توافر في القرآن الكريم من الدلالات ما جعله خطاباً حجاجياً منطقيّاً، والحجاج المنطقي أحد أوجه الإعجاز الذي أنزله الله ليقع به الاهتداء، ولا يكون كذلك إلا وهو حجة، ولا يكون حجة إن لم يكن معجزة[48]. ولقد احتوى القرآن على جميع أنواع الحجاج ومنه الحجاج المنطقي، فما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير تبين من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به[49].

ولقد اعتمده علماء المسلمين طريقاً موصلاً إلى كلامهم ومعارفهم في شتى مجالاتها، وذلك قبل أن يترجم إلى العربية منطق اليونان وعلومهم، فسلموا من الضلالات، وهذا من فضل الله ورحمته بعباده، ونقف مع موجز من أنماط الاستدلال الحجاجي المنطقي في القرآن الكريم كما استنبطه علماء الأمة.

- قوله تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) [آل عمران: 59].

وطبيعة الحجاج في هذه الآية يسمى بالقياس المضمر، وهو قياس مركب من

---

48 Al-Bāqillānī , Abū Bakar Muḥammad. (1990). *I'jāz Al-Qurān.* (2nd. Ed). Dār Iḥyā' Al-'Ulūm, p. 28.

49 Al-Kattābī. (1992). *Jadal Al-'Aql Wa Al-Naql Fi Manāhij Al-Tafkīr Al-Islāmī.* Dār Al-Thaqāfah Lil Nashr, p. 44.

مقدمتين، لكن إحدى مقدمتيه حذفت لظهورها ودلالة المقام على حذفها[50].

فالله تعالى أخبر أن عيسى – عليه السلام – نظير آدم في التكوين، بجامع ما يشتركان فيه من المعنى الذي تعلق به وجود سائر المخلوقات، وهو مجيئها طوعاً بمشيئته وتكوينه، فكيف يستنكر وجود عيسى من غير أب، من يقر بوجود آدم من غير أب ولا أم، ووجود حواء من غير أم؟!

فآدم وعيسى نظيران، يجمعهما المعنى الذي يصح تعليق الإيجاد والخلق به.

«فلم يذكر في الآية إلا مقدمة واحدة، وهي إثبات مماثلة آدم لعيسى في الآدمية، وطوى ما عداها من الأوصاف، وفحوى الدليل: إذا كان آدم ليس ابناً باعترافكم، فعيسى ليس ابناً كذلك»[51].

– قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ) [الإسراء: 99].

والحجاج المنطقي هنا هو قياس الأولى: وهو ما يكون الحكم المطلوب فيه أولى بالثبوت من لاصورة المذكورة في الدليل الدال عليه.

وقد أكد هذا القياس بضرب من الأولى، وهو أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، فالقادر على خلق ما هو أكبر وأعظم وأقدر على خلق الناس، وليس أول الخلق بأهون عليه من إعادته[52].

– قوله تعالى: (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) [المؤمنون: 91]، وهذا الحجاج في تقرير الربوبية، بإثبات بطلان نقيضه، وذلك لأن النقيضين لا يجتمعان، ولا

---

50 Ibn Al-Qayyim, Muḥammad bin Abi Bakr. (1973). *I'lām al-Muwaqqi'īn.* (Vol. 21). Dār al-Jīl. p. 131.

51 Abū Zahrah, Muḥammad. (n.d.). *Al-Mu'jizah al-Kubrā.* Dār al-Fikr al-Arabī, p. 440.

52 Ibn Taymiyyah, Aḥmad bin Abdulḥalim. (n.d.) *Sharḥ al-Aqīdah al-Aṣfahāniyyah.* Dār al-Kutub al-Hadīthah. p. 49.

يخلو المحل من أحدهما، كالمقابلة بين العدم والوجود، والمقابلة بين نفي أمر معين، في مكان معين، وزمان معين، وإثباته في هذه الحال، فإن انتفى بالدليل كان ذلك حكماً بوجود نقيضه[53]. وهذا يسمى في المنطق قياس الخلف لكونه يستلزم الرجوع من النتيجة إلى الخلف لأخذ المطلوب من المقدمة المجهولة من الخصم بالبرهنة على كذبها بصدق نقيضها[54]، وهذا بيّن جلي في الآية، ففرض المحال نفياً أو مشروطاً بحرف الامتناع، فأصبح المذكور ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه، ثم يسلّم وقوع ذلك تسليماً جدلياً، ويدل على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه، وتطبيقه على الآية: «ليس مع الله من إله، ولو سلم أن معه سبحانه وتعالى إلهاً للزم من ذلك التسليم ذهاب كل إله من الاثنين بما خلق، وعلو بعضهم على بعض، فلا يتم في العالم أمر ولا ينفذ حكم ولا تنتظم أحواله، والواقع خلاف ذلك، ففرض إلهين فصاعداً محال، لما يلزم منه المحال»[55].

– قوله تعالى: (ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) [الروم: 28]. وصورة الحجاج في الآية هو قياس الشبه الخالي عن العلة المؤثرة والوصف المقتضي للحكم[56]، فإذا كان الواحد منكم ليس له من مماليكه شريك فيما رزقه الله بحيث يخاف ذلك المملوك كما يخاف السادة بعضهم بعضاً، فكيف تجعلون لي شريكاً هو مملوكي، وتجعلونه شريكاً فيما يختص بي من العبادة والمخافة والرجاء، حتى يخافوه كما تخافوني؟

ومن المعلوم أن ملك الناس بعضهم بعضاً ملك ناقص، فإن السيد لا يملك من

---

53 Abū Zahrah, *Al-Mu'jizah Al-Kubrā,* p. 400.

54 Al-Tūmī, Muḥammad. (1980). *Al-Jadal Fī Al-Qur'ān Al-Karīm.* Al-Sharikah Al-Tunīsiyyah Lil-Tibā'ah Wa Al-Nashr. p. 250.

55 Al-Suyūṭī, Jalāl Al-Dīn Abdulrahman. (n.d.). *Al-Itqān Fī 'Ulūm Al-Qur'ān.* (Vol. 2). Ālam Al-Kutub. p. 137.

56 Ibn Al-Qayyim, *I'lām al-Muwaqqi'īn.*, p. 150.

عبده إلا بعض منافعه، فلا يملك عينه، وهو شبيه بملك الرجل بعض منافع امرأته، وملك المستأجر بعض منافع أجيره... فإذا كان هذا الملك الناقص لا يكون المملوك فيه شريكاً للمالك، فكيف بالملك الحق التام لكل شيء؟ ملك المالك للأعيان والصفات، والمنافع والأفعال، الذي لا يخرج عن ملكه شيء بوجه من الوجوه، ولا لغيره ملك مفرد، ولا شريك في ملك ولا معاونة له بوجه من الوجوه، كيف يسوغ في مثل هذا أن يجعل مملوكه شريكه بوجه من الوجوه[57].

– قوله تعالى: (قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) [إبراهيم: 11].

وصورة الحجاج في هذه الآية، مجاراة الخصم في بعض مقدماته، ثم التعقيب عليه بما يقلب نتائج قوله[58].

«فالرسل – عليهم السلام – سلموا بالمقدمة التي بنى عليها المكذبون بالرسل وهي أنهم بشر، ولكن الرسل نقضوا النتيجة لأن دعوى المكذبين تنتج عدم الرسالة، ولا تنافي أن يمنّ الله بها على من يشاء من عباده، فكأن الرسل قالوا لأقوامهم المكذبين برسالتهم: ما قلتموه من أننا بشر حق، ولكن ما تريدون أن تبنوا عليه من إثبات أننا لسنا أنبياء باطل؛ لأن الله يمنّ بالرسالة على من يشاء»[59].

– قوله تعالى: (وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ) [الأنعام: 133].

والاستدلال في هذه الآية على ربوبيته وقدرته بقياس اللاحق على السابق، قال ابن القيم – رحمه الله–: «فهذا قياس جلي، يقول سبحانه: إن شئت أذهبتكم واستخلفت غيركم، كما أذهبت من قبلكم واستخلفتكم، فذكر أركان القياس الأربعة:

57 Ibn Taymiyyah. *Dar'u Ta'āruḍ Al-A'ql Wa Al-Naql.* (Vol. 7), p. 389.

58 Abū Zahrah, *Al-Mu'jizah Al-Kubrā,* p. 410.

59 Ibid, p. 410

علة الحكم، وهو عموم مشيئته وكمالها، والحكم، وهو ذهابه بهم وإتيانه بغيرهم، والأصل وهو من كان قبلهم، والفرع وهم المخاطبون»[60].

ومن خلال تقديم الحجج المنطقية القوية، مثل القياس المضمر في آية خلق عيسى وآدم، يعزز القرآن في عقل المسلم أن الله بأفعاله لا يخضع للمقاييس البشرية، وأنه بخلقه وقدرته ليس كمثله شيء سبحانه.

والاستدلال بالقياس المنطقي، كما في الآيات التي تثبت بطلان تعدد الآلهة، يجعل المسلم يؤمن باستحالة وجود شركاء لله في الحكم والخلق. وهذه الحجج تعزز في نفس المسلم الإيمان بأن الله هو الرب المتصرف في الكون، فيلجأ إليه مقراً بربوبية وألوهية.

كما أن مجاراة الخصم في بعض المقدمات، ثم نقض النتيجة، كما في محاججة الرسل لقومهم، تكشف للمسلم عجز البشر عن الإتيان بمثل هذا المنطق القرآني، فيسلم بوحدانية الله وربوبيته.

5. إعجاز في القرآن من خلال أسلوبه الوجداني في تقرير توحيد الربوبية وأثره على عقيدة المسلم

لقد جعل الله تعالى لكتابه العظيم تأثيراً بالغاً في النفوس، تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه، فهذا عتبة بن ربيعة سمع من النبي صلى الله عليه وسلم آيات من سورة فصلت: (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) [فصلت: 13]، فتأثر عتبة ووضع يده على فم النبي صلى الله عليه وسلم وناشده أن يسكت[61]؛ لقوة ألفاظه ونفاذه للوجدان، بل إن الصخور الصم تتصدع، قال تعالى: (لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [الحشر: 21]، وبسبب هذه القوة الوجدانية كان

[60] Ibn Al-Qayyim, *I'lām al-Muwaqqi'īn*. (Vol. 1). p. 185.
[61] Ibn Isḥāq, Muḥammad. *Sīrah Ibn Isḥāq*. Dār al-Fikr. p. 207.

مشركو العرب يوصي بعضهم بعضاً بعدم سماع القرآن حتى لا يتاثروا به، (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) [فصلت: 26].

ومن ذلك ما رواه ابن إسحاق أن أبا سفيان بن حرب، وأبا جهل بن هشام، والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثالثة، أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود على ذلك ثم تفرقوا[62].

إن ما قام به قادة المشركين من استماعهم للقرآن الكريم رغم تعاهدهم ألا يعودوا لاستماعه لأكبر دليل على تأثير القرآن في نفوسهم، ورغبتهم الشديدة في استماع آياته؛ لقوته العجيبة وأسلوبه البليغ، ومن حلاوة وعذوبه أثره.

وعندما أراد أبو بكر رضي الله عنه الهجرة لقيه ابن الدغنة فأدخله في جواره، فابتنى مسجداً بفناء داره، فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، يعجبون، وكان أبو بكر رجلاً بكاء، لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم فقالوا له: إذا كنا أجرنا أبا بكر على أن يعبد ربه في داره، وإنه جاوز ذلك، فابتنى مسجداً بفناء داره، وأعلن الصلاة والقراءة، وقد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا[63].

---

62 Ibn Ishāq, *Sīrah Ibn Isḥāq*, p. 189.

63 Al-Bukhārī (1970). *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*. (Vol. 3). p. 250.

قال ابن حجر في معنى يتقصف: «أي يزدحمون عليه حتى يسقط بعضهم على بعض فيكاد ينكسر وأطلق يتقصف مبالغة»[64].

فهذا شأن القرآن يخاطب الوجدان فيبلغ أثره الصغير والكبير والجاهل والعالم، حتى أفزع بخطابه قريش فخافوا على أهليهم.

وذلك صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوراً ولا منثوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى، ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت إليه مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشّاها الخوف والفرق، ما تقشعر منه الجلود وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس وبين ضمراتها وعقائدها الراسخة فيها، فكم من عدو للرسول صلى الله عليه وسلم من رجال العرب، أقبلوا يريدون اغتياله وقتله، فسمعوا آيات مسالمته، ويدخلوا في دينه، وصارت عدواتهم موالاة وكفرهم إيماناً[65].

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أعظم من تأثر بالقرآن الكريم، كيف لا وهو عليه أنزل، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «اقرأ علي» قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «فإني أحب أن أسمعه من غيري» فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا) قال: «أمسك» فإذا عيناه تذرفان[66].

قال العيني: «بكاؤه إشارة منه إلى معنى الوعظ لأنه تمثل لنفسه أهوال يوم القيامة وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لأمته بتصديقه والإيمان به، وسؤاله الشفاعة لهم ليريحهم من طول الموقف وأهواله، وهذا أمر يحق له طول البكاء

64 Ibn Ḥajar,. *Fatḥ Al-Bāri Bi Sharḥ Ṣaḥīḥ Al-Bukhāri* (Vol. 7)., p. 234.

65 Al-Khattābi, Abū Sulaymān Ḥamd Bin Muḥammad. (1973). *Wujūh I'jāz Al-Qur'ān. Fī Thalāth Rasā'il Fī I'jāz Al-Qur'ān* (Vol. 2). Al-Qāherah: Dār Al-Ma'ārif, p. 70.

66 Al-Bukhārī, *Ṣaḥīḥ Al-Bukhārī.* (Vol. 6), p. 45.

والحزن»[67].

وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان لا يملك نفسه عند تلاوة آيات الله تعالى، وقد وصفته ابنته عائشة رضي الله عنها بأنه رجل رقيق أسيف، فعندما مرض النبي صلى الله عليه وسلم أمر أن يصلي أبو بكر بالناس، فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» قالت عائشة: إنه رجل رقيق، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس[68].

وأما حال القرآن مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكان عجيباً، فقد أسلم لما سمع بعض الآيات، وكان شديد التأثر بالقرآن الكريم سريع البكاء من تلاوته.

فعن عبدالله بن شداد أنه قال: سمعت نشيج عمر، وأنا في آخر الصفوف يقرأ: (قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ) [يوسف: 86][69].

فالكافر والمعرض تهزه آياته حتى وإن لم يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره، والمؤمن يخشع لآيات الهيبة والجلال حتى وإن كان عامياً جاهلاً، وما ذاك إلا أن له من الوقع في القلوب والتمكن في النفوس ما يذهل ويبهج، ويطمح ويؤنس، ويضحك ويبكي، ويحزن ويفرح،ويسكن ويزعج، ويشجي ويطرب، ويهز الأعطاف ويستميل نحوه الأسماع، ويورث الأريحية والعزة، وقد يبعث على بذل المهج والأموال شجاعة وجوداً، ويرقى السامع من وراء رأيه مرمى بعيداً، وله مسالك في النفوس لطيفة، ومداخل إلى القلوب دقيقة[70]، حتى قال مشركو العرب: (إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلى وإنه ليحطم ما تحته[71].

---

67 Al-ʻAynī, Badr Al-Dīn. (n.d.).*ʻUmdah Al-Qārī Sharḥ Ṣaḥīḥ Al-Bukhārī.* (Vol. 20). Dār Iḥyā' Al-Turāth Al-ʻArabī, P. 57

68 Al-Bukhārī, *Ṣaḥīḥ Al-Bukhārī.* (Vol. 1), p. 136.

69 Al-Bukhārī, *Ṣaḥīḥ Al-Bukhārī.* (Vol. 1), p. 144.

70 Al-Bāqillāni, *I'jāz al-Qurān,* p. 277.

71 Al-Ḥākim, Muḥammad Bin ʿAbdullah. (1990). *Al-Mustadrak ʿalā Al-Ṣaḥīḥain.* (Vol. 2) Beīrūt: Dār Al-Kutub Al-ʿIlmiyyah, p. 550.

ومن أبرز الأساليب التي استعملها القرآن في تحريك الوجدان لتقرير ربوبية الله تعالى بحسب ما وقفت عليه– الآتي:

أولاً: الأمثال:

وهي من أهم الأساليب في التأثير على النفوس، لما لها من أثر يجمع ما بين الترغيب والترهيب، فللأمثال من الكلام موقع في الأسماع وتأثير في القلوب لا يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها، ولا يؤثر تأثيرها، فالمعاني بها لائحة، والشواهد بها واضحة، والنفوس بها واقعة، والقلوب بها واثقة، والعقول لها موافقة، فلذلك ضرب الله الأمثال في كتابه العزيز وجعلها من دلائل رسله وأوضح بها الحجة على خلقه؛ لأنها في العقول معقولة، وفي القلوب مقبولة[72]، ومن تلك الأمثال القرآنية المقررة لتوحيد الربوبية على سبيل التمثيل لا الحصر، قوله تعالى: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [النور: 35]، فقد ضرب الله لنوره مثلاً من مخلوقاته، لأنه لا يمكن أن يضرب لنوره المعظم مثلاً تنبيهاً لخلقه إلا ببعض خلقه لأن الخلق لقصورهم، لا يفهمون إلا بأنفسهم ومن أنفسهم، ولولا ذلك ما عرف الله إلا الله وحده[73](74)، فهو رب السموات والأرض وما فيهن، وقيم السموات والأرض ومن فيهن، وهو سبحانه نور السموات والأرض فبقدرته أنارت أضواؤهم، واستقامت أمورهما، والقصد من التنوير: هو هداية أهل السموات والأرض إلى أنه لا إله ولا رب سواه، وهذا التشبيه العجيب

---

72 Al-Māwardī, Abū Al-Ḥasan ʻAlī Bin Muḥammad. (1973). Adab Al-Dunyā Wa Al-Dīn, Sharikah Maktabah Wa Muṭabaʿah Muṣṭafa Al-Bābi Al-Ḥalabī, P. 275.

73 Al-Qurṭubī, Muḥammad bin Abī Bakr. (1964). *Al-Jāmiʻ li Aḥkām Al-Qur'ān.* (2nd. Ed. Vol. 12). Dār Al-Kutub Al-Miṣriyyah, p. 264.

74 Al-Qurṭubī, *Al-Jāmi' li Aḥkām al-Qurān* (2nd ed, vol. 12), p. 264.

الذي تضمنته الآية فيه من الأسرار والمعاني، وإظهار تمام نعمته على عبده المؤمن بما أناله من نوره ما تقر به عيون أهله وتبتهج به قلوبهم وفي التشبيه لأهل المعاني طريقتان:

أحدهما: طريقة التشبيه المركب، وهي أقرب مأخذاً، وأسلم من التكلف، وهي أن تشبه الجملة برمتها بنور المؤمن من غير تعرض لتفصيل كل جزء من أجزاء المشبَّه، ومقابلته بجزء من المشبَّه به، وعلى هذا عامة أمثال القرآن الكريم، فتأمل صفة مشكاة، وهي كوة لا تنفذ لتكون أجمع للضوء، وقد وضع فيها مصباح، وذلك المصباح داخل زجاجة تشبه الكوكب الدرّي في صفاتها وحسنها، ومادته من أصفى الأدان وأتمها وقوداً من زيت شجرة (لا شرقية ولا غربية) بحيث تصيبها الشمس في أحد طرفي النهار، بل تصيبها الشمس أعدل إصابة، فمن شدة إضاءة زيتها وصفائه وحسنه يكاد يضيء من غير أن تمسه نار، فهذا المجموع المركب هو مثل نور الله تعالى الذي وضعه في قلب عبده المؤمن وخصه به.

والطريقة الثانية: طريقة التشبيه المفصَّل، فقيل: المشكاة: صدر المؤمن، والزجاجة قلبه، وشبه قلبه بالزجاجة لرقتها، وصفائها، وصلابتها، وكذلك قلب المؤمن، فإنه قد جمع الأوصاف الثلاثة: فهو يرحم، ويحسن، ويتحنن، ويُشفق على الخلق برأفته، وبصفائه تتجلى فيه صور الحقائق والعلوم على ما هي عليه، ويباعد الكدر والدرن والوسخ بحسب ما فيه من الصفاء، وبصلابته يشتد في أمر الله تعالى، ويتصلب في ذات الله تعالى، ويغلظ على أعداء الله تعالى، ويقوم بالحق لله تعالى، وقد جعل الله القلوب كالآنية، والمصباح: هو نور الإيمان في قلبه، والشجرة المباركة: هي شجرة الوحي المتضمنة للهدى، ودين الحق، وهي مادة المصباح، التي يتَّقد منها، والنور على النور: نور الفطرة الصحيحة، والإدراك الصحيح، ونور الوحي والكتاب، فينضاف أحد النورين إلى الآخر، فيزداد العبد نوراً على نور؛ ولهذا يكاد ينطق بالحق والحكمة قبل أن يسمع ما فيه من الأثر، ثم يبلغه الأثر بمثل ما وقع في قلبه، ونطق به، فيتفق

عنده شاهد العقل، والشرع، والفطرة، والوحي، فيريه عقله، وفطرته، وذوقه أن الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم هو الحق، لا يتعارض عنده العقل والنقل البتة، بل يتصادقان ويتوافقان، فهذا علامة النور على النور عكس من تلاطمت في قلبه أمواج الشبه الباطلة، والخيالات الفاسدة»[75].

ثانياً: القصص: سلك القرآن الكريم أساليب متنوعة في عرض القصص، وهذه الأساليب تخاطب الإنسان بكل ما فيه من عقل ووجدان، فقصص تثير التفكير، وقصص تخاطب المشاعر والانفعالات، وهذه الأساليب أحسن الأساليب وأبدعها، قال تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ) [يوسف: 3]، أحسن الاقتصاص لأنه اقتصها على أبدع الأساليب[76].

ومن تلك الأغراض البعد الوجداني، إذ لا تنتهي القصة إلا وقد عاش المتلقي تجربة وجدانية حركت مشاعره نحو الإيمان بالله والإقرار بربوبيته، وأظهر ما يكون الإعجاز في أسلوب القرآن الوجداني هو في قصص الأنبياء مع أقوامهم، وهو الأمر الذي لا يكاد تخلو منه معظم سور القرآن.

ففي سورة القصص جاء خطاب موسى عليه السلام لقومه مثيراً للانتباه ومحركاً للمشاعر والوجدان في تقرير توحيد الربوبية من خلال لفت أنظارهم إلى مضامين توحيد الربوبية من إفراد الله بأفعاله وحاجتهم له سبحانه لتستقيم أمور حياتهم. قال موسى لقومه مذكراً إياهم بنعمة الله: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ) [القصص: 72]، فذكرهم بتعاقب الليل والنهار وأنه دليل على عظمة صنع الله وإتقانه.

وحرك مشاعرهم، وصرف أنظارهم إلى أفعاله سبحانه بأسلوب قصصي لا نظير

---

75 Ibn Al-Qayyim, Muḥammad Bin Abī Bakr. (n.d.). *Ijtimā' Al-Juyush Al-Islāmiyyah 'Alā Ḥarb Al-Mu'aṭṭilah Wa Al-Jihmiyyah.* Dār Ālam Al-Fuād, p. 13 - 14.

76 Al-Bayḍāwī, 'Abd Allāh bin 'Umar (1998). *Anwār Al-Tanzīl wa Asrār Al-Ta'wīl* (Vol. 3). Dār Iḥyā' Al-Turāth Al-'Arabī, p. 154.

له في قصة قارون: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) [القصص: 78]، فالقدرة لله تبارك وتعالى، مهما ظن البشر أن لديهم قوة وقدرة فالله الغالب بأمره سبحانه، وهذا تذكير بربوبيته.

ثم يأتي السياق القرآني ليقرر في نفس القصة ما تفرد به سبحانه من أفعاله المقدسة ويختم قصة قارون بقوله تعالى: (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) [القصص: 82].

فالله هو الذي يقبض ويبسط، وهذا من دلائل ربوبيته سبحانه، أما المعجزات التي أتى بها موسى عليه السلام لقومه فقد جاءت بأسلوب القصة المطولة والموجزة في هذه السورة وفي غيرها من السور، وما ذاك إلا لربط المحسوس بالوجدان لتتحرك المشاعر، فالآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى، تأييداً لرسله، ونصراً لهم تدل دلالة قطعية على ربوبيته سبحانه، وإنكار فرعون للتوحيد وكفره به، وتألهه على الخلق، أورثه الذل والهوان والهلاك، وفي هذا عظة وعبرة يتحرك لها قلب كل عاقل. وتأتي قصة موسى عليه السلام لترسيخ التوحيد بإحدى أساليب الدعوة من خلال إثارة الوجدان، ولقد مرت دعوة إبراهيم بمراحل عدة، فبدأ دعوة قومه إلى التوحيد حكاه القرآن بقوله تعالى: (وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (16) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (17) وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (18)) [العنكبوت: 16 -18]، فلما عاندوا استخدم إبراهيم – عليه السلام – التفكير العقلي بفرض الفروض ثم اختيار صحة كل فرض بالمنطق العقلي على مشاهدة الحقائق الكونية، قال تعالى: (وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ) [الأنعام: 75]، حتى يكون ختام القصة مع قومه بقوله: (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [الأنعام: 79]، إنها دعوة الأنبياء قاطبة يقصها القرآن تختلف أحداثها، وتتحد أهدافها تحقيق التوحيد ابتداء، بربط المحسوس بالوجدان ليوقظ الفطرة السليمة إلى الإقرار بوجوده سبحانه وتفرده بأفعاله.

فالقصة القرآنية ما هي إلا معجزة خالدة للوقوف على العبر والمواعظ من خلال تحريك المشاعر والوجدان، وعلى هذا قِسْ جميع قصص الأنبياء في القرآن، وخشية الإطالة نترك للقارئ الغوص في أسرار القرآن المعجز ليقف على إعجازه في أسلوبه الوجداني، فيربط بين النظر في الكون وبين الإحساس الداخلي والاستجابة إلى نداء العاطفة والروح الذي ينبعث من أعماق النفوس، جامعاً بين إقناع العقول والتأثير في القلوب، وبهذا يقترن اليقين بالإيمان.

6. الخاتمة

بعد شكر الله على ما يسر من إتمام هذا البحث، نقف عند أهم نتائجه:

1. أظهر القرآن الكريم إعجازاً من خلال أسلوبه اللغوي البليغ في تقرير توحيد الربوبية، إذ جاءت المفردات والتراكيب القرآنية في بناء قوي خارجٍ عن طوق البشر على أن يأتوا بمثله، وتصور واضح عن وحدانية الله، مما يكشف للمسلم وغير المسلم أنه من لدن حكيم خبير مستحق للتوحيد والعبادة، فيسلمُ له وجهه، ويقر بحاجته إليه فتطمئن نفسه.
2. أكد البحث أن من أساليب القرآن الإعجازية في تقرير توحيد الربوبية أنه خاطب الفطرة الإنسانية بشكل مباشر، مما عزز الشعور الداخلي بفطرية وجود الله ووحدانيته فيذعن المسلم لربه مستسلماً لأمره ونهيه، فهو سبحانه من فطره على الدين القيم.
3. استخدم القرآن أسلوب الحجاج المنطقي لدحض الأفكار والشبهات التي تتعارض مع توحيد الربوبية، وهذا النهج العقلي يكشف للمسلم ضلال الكافرين من خلال الحجة والبرهان فيقوم إيمانه على عقيدة راسخة بوحدانية الله وربوبيته.
4. استعمل القرآن أسلوبًا وجدانيًا معجزاً من خلال القصص والأمثال في تقرير توحيد الربوبية، فربط بين النظر في الكون وبين الإحساس الداخلي والاستجابة إلى نداء العاطفة والروح الذي ينبعث من أعماق النفوس، جامعاً في قلب المسلم بين إقناع العقول والتأثير في القلوب، وبهذا يقترن اليقين بالإيمان بالله وحده.
5. تبين من خلال البحث أن القرآن استخدم أساليب إعجازية متنوعة في تقرير توحيد الربوبية لتلبية مختلف المستويات الفكرية والنفسية لدى البشر، ولتثبيت الإيمان بوحدانية الله بطريقة شاملة ومتكاملة، مما يدل على أنه المعجزة الخالدة إلى يوم القيامة.

المصادر والمراجع

REFERENCES:

ʿAbd Al-Raḥman, ʿĀishah. (1969). *Al-Tafsīr Al-Bayān Lil Qurān Al-Karīm.* (2nd Ed, Vol. 1). Dār Al-Maʾārif.

Ā'isyah ʿAbd al-Raḥman. (N.d.). *ʿAlā Ṭarīq al-Tafsīr al-Bayānī.* N.p.

Abū Dawūd, Sulaimān Al-Ashʿath. (1972). *Sunan Abī Dawūd.* (Vol. 1). Beirūt: Al-Maktabah Al-ʿIṣriyah.

Abū Ḥayyān Al-ʾAndalusī. (1992). *Al-Baḥr Al-Muḥīṭ.* (Vol. 8). Dār Al-Kutub Al-ʿIlmiyyah.

Abū Zahrah, Muḥammad. (n.d.). *Al-Mu'jizah al-Kubrā.* Dār al-Fikr al-Arabī, p. 440.

Al-ʿArīfī, Saʾūd Bin ʿAbd Al-ʿAzīz. (2014). *Al-Adillah Al-ʿAqliyyah Al-Naqliyyah ʿAl'ā ʿUṣūl Al-I'tiqād.* Markaz Takwīn Lildirāsāt Waliabhāth.

Al-ʿĀṣimī Al-Gharnāti, Ibrāhim Bin Al-Zubayr Al-Thaqafi. (1983). *Malāk Al-Al-Ta'wīl Al-Qāṭi' Bidhawī Al-Ilhād Wa Al-Ta'ṭīl Fī Tawjīh Al-Mutashābih Bi Lafẓ Min Ay Al-Tanzi*l. Dār Algharb Al-Islāmī.

Al-ʿAynī, Badr Al-Dīn. (n.d.). *ʿUmdah Al-Qārī Sharḥ Ṣaḥīḥ Al-Bukhārī.* (Vol. 20). Dār Iḥyā' Al-Turāth Al-ʿArabī.

Al-Bāqillānī, Abū Bakar Muḥammad. (1990). *I'jāz Al-Qurān.* (2nd. Ed). Dār Iḥyā' Al-ʿUlūm.

Al-Bayḍāwī, ʿAbd Allāh bin ʿUmar (1998). *Anwār Al-Tanzīl wa Asrār Al-Ta'wīl* (Vol. 3). Dār Iḥyā' Al-Turāth Al-ʿArabī.

Al-Bighā, Muṣṭafā Dīb. (1998). *Al-Wāḍiḥ fi ʿUlūm al-Qur'ān.* Dimashq: Dār al-ʿUlūm al-Insāniyyah.

Al-Biqā'ī, Ibrāhīm Bin ʿUmar. (n.d.). *Niẓam Al-Durar Fī Tanāsub Al-Āyāt wa Al-Suwar.* (Vol. 22). Dār Al-Kitāb Al-Islāmī.

Al-Bukhārī (1970). *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī.* (Vol. 3). N.p., .

Al-Ḥākim, Muḥammad Bin ʿAbdullah. (1990). *Al-Mustadrak ʿalā Al-Ṣaḥīḥain.* (Vol. 2) Beīrūt: Dār Al-Kutub Al-ʿIlmiyyah.

Al-Jurjānī, ʿAlī bin Muḥammad. (1982). *Al-Ta'rīfāt.* Beirūt: Dār al-Kutub, p. 31

Al-Kattābī. (1992). *Jadal Al-ʿAql Wa Al-Naql Fi Manāhij Al-Tafkīr Al-Islāmī.* Dār Al-Thaqāfah Lil Nashr.

Al-Khaṭābī, Abū Sulaymān Ḥamad bin Muḥammad. (1973). *Wujūh I'jāz Al-Qurān fi Thalāth Rasāil fi I'jāz Al-Qurān* (Muḥammad Khalaf Allah, Muḥammad Zaghlūl Salām, Vol. 2) Al-Qāherah Dār Al-Maʾārif.

Al-Khattābi, Abū Sulaymān Ḥamd Bin Muḥammad. (1973). *Wujūh I'jāz Al-Qur'ān. Fī Thalāth Rasā'il Fī I'jāz Al-Qur'ān* (Vol. 2). Al-Qāherah: Dār

Al-Ma'ārif.

Al-Māwardī, Abū Al-Ḥasan ʿAlī Bin Muḥammad. (1973). Adab Al-Dunyā Wa Al-Dīn, Sharikah Maktabah Wa Muṭabaʿah Muṣṭafa Al-Bābi Al-Ḥalabī.

Al-Qāsimī, Muḥammad Jamāl al-Dīn. (1914). *Maḥāsin al-Ta'wīl.* (Vol. 9). Dār al-Ḥadīth.

Al-Qurṭubī, Muḥammad bin Abī Bakr. (1964). *Al-Jāmiʿ li Aḥkām Al-Qur'ān.* (2nd. Ed. Vol. 12). Dār Al-Kutub Al-Miṣriyyah.

Al-Suyūṭī, Jalāl Al-Dīn Abdulrahman. (n.d.). *Al-Itqān Fī 'Ulūm Al-Qur'ān.* (Vol. 2). Ālam Al-Kutub.

Al-Tūmī, Muḥammad. (1980). *Al-Jadal Fī Al-Qur'ān Al-Karīm.* Al-Sharikah Al-Tunīsiyyah Lil-Tibā'ah Wa Al-Nashr.

Al-Zarqāfī, Muḥammad ʿAbd al-ʿAzīm. (1997). *Manāhil al-ʿIrfān.* (Vol. 2). Al-Qāherah: Dār Al-Ḥadīth.

Fakhr al-Rāzī, Muḥammad bin ʿUmar. (n.d.). *Mafātīḥ al-Ghayb.* (2nd ed, vol. 32). Beirūt: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Falayh, Aḥmad. (2005). Al-I'jāz al-Ṣawtī fī Qiṣār al-Suwar. *Majallah Jāmi'ah Tikriyyah li al-ʿUlūm al-Insāniyyah*, *12*.(5)

Ibn ʿAbd Al-Bar, Yūsuf Bin ʿAbdullah. (1967). *Al-Tamhīd Limā Fī Al-Muaṭṭa' Min Al-Ma'ānī Wa Al-Asānīd* (Vol. 18). Wizārat Al-Awqāf Al-Maghribiyyah.

Ibn ʿĀshūr, Muḥammad al-Ṭāhir. (n.d.). *Al-Taḥrīr wa al-Tanwīr.* (Vol. 30). Tūnis: al-Dār al-Tūnisiyyah li Nashr.

Ibn ʿUthaimīn, Muḥammad bin Ṣālih. (2003). *Al-Qawl Al-Mufīd ʿAlā Kitāb Al-Tawḥīd.* (2nd ed, vol. 1). Al-Sa'ūdiyyah: Dār Ibn Al-Jawzī.

Ibn Abī al-ʿIz, Muḥammad bin ʿAlī. (1971). *Sharḥ al-ʿAqīdah al-Ṭaḥāwiyyah.* (4th ed, vol. 1). Beirūt: Al-Maktab al-Islāmī.

Ibn Al-Qayyim, Muḥammad bin Abi Bakr. (1973). *Al-Fawāid.* (Vol. 1). Dar Al-Kutub Al-ʿIlmiyyah.

Ibn Al-Qayyim, Muḥammad bin Abi Bakr. (1973). *I'lām al-Muwaqqi'īn.* (Vol. 21). Dār al-Jīl.

Ibn Al-Qayyim, Muḥammad Bin Abī Bakr. (2019). *Ṭarīq Al-Hijratayn Wa Bāb Al-Sa'ādatayn* (4th Ed., Vol. 1). Dār Ibn Ḥazm.

Ibn Al-Qayyim, Muḥammad Bin Abī Bakr. (n.d.). *Ijtimā' Al-Juyush Al-Islāmiyyah ʿAlā Ḥarb Al-Mu'aṭṭilah Wa Al-Jihmiyyah.* Dār Ālam Al-Fuād.

Ibn Fāris, Aḥmad. (1881). *Muʿjam Maqāyīs al-Lughah*, Beirūt: Dār al-Fikr.

Ibn Ḥajar, Aḥmad bin ʿAlī. (1970). *Fatḥ Al-Bārī Sharḥ bi Ṣaḥīḥ Al-Bukhārī.* (Vol. 8). Maktabah al-Salafiyyah.

Ibn Isḥāq, Muḥammad. (n.d.). *Sīrah Ibn Isḥāq*. Dār al-Fikr.

Ibn Kathtīr, Ismā'īl Bin ʿUmar. (2009). *Tafsīr Al-Qurʾan Al-ʿAẓīm*. (Vol. 4). Al-Riyāḍ: Dār Ibn Al-Jūzī.

Ibn Manẓūr, Jamāl al-Dīn Muḥammad bin Mukrim. (n.d.). *Lisān al-ʿArab.* (Vol. 5). Beirūt: Dār Ṣādir.

Ibn Qayyim, Muḥammad bin Abī Bakr. (1985). *Madārij al-Sālikīn baina Manāzil Iyyāka Na'budu wa Iyyāka Nasta'īn.* (Vol. 3). Beirūt; Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Ibn Taymiyyah, Aḥmad bin ʿAbd al-ḥalīm. (1983). *Maṭbū'āt Jāmi'ah al-Imām Muḥammad bin Sa'ūd.* (Vol. 8). N.p.

Ibn Taymiyyah. (n.p). *Dar'u Ta'āruḍ Al-A'ql Wa Al-Naql.* (Vol. 3), N.p.

Ibn Taymiyyah, Aḥmad bin Abdulḥalim. (n.d.) *Sharḥ al-Aqīdah al-Aṣfahāniyyah.* Dār al-Kutub al-Hadīthah.

Niḥlah, Maḥmūd Aḥmad. (1981). *Lughah al-Qurān al-Karīm*. Dār Al-Nahḍah al-ʿArabiyyah.